اشكالية التأويل للنص القرآني بين الضوابط التفسيرية والقراءة الحداثية

Research · September 2018

DOI: 10.13140/RG.2.2.30796.26247

1 author:

احمد رشيد حسين احمد
University of Baghdad

بحث بعنوان : اشكالية التأويل للنص القرآني بين الضوابط التفسيرية والقراءة الحداثية

أعداد م.د أحمد رشيد حسين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه وسلم اما بعد:-

فأن القران الكريم انزل ليكون كتاب هداية للناس اجمعين تقويما للعقول وتربية للنفوس وهذه الهداية تتطلب فهما للنص ومعرفة بدلالته ومراداته ولا يتأتى هذا الا من خلال البيان والتفسير فكان الرسول ﷺ المبين والمفسر الاول للنص القرآني الا انه لم يفسر القران كله وانما بين ما يحتاج منه الى بيان حتى يبقي الباب مفتوحا امام التفسيرات التي تكون نتاج تطورات العصر ومستجداته ومع تقدام الزمن واختلاف البيئات والثقافات ظهرت الكثير من التفسيرات والتأويلات للنص القرآني ومع هذه الكثرة ظهرت عندنا اشكالية تأويل النص وفهمه ومدى انفتاح افقه وضوابط الفهم اي بمعنى آخر هل لهذا التأويل من ضابط يحمل المفسر او المأول على التمسك به او انه تأويلا مفتوحا من غير ضابط؟ تلك كانت هي الاشكالية التي بدأت نواتها في الفكر الاسلامي مع ظهور المذاهب بمختلف توجهاتها وثقافاتها وخصوصا العقلية منها الا انها نضجت واكتملت مع ظهور المدارس الحداثية المعاصرة المتأثرة بالغرب وفلسفته وثقافته فقد تعامل الغرب مع نصه المقدس بغض النظر عن التحريف فيه بعيدا عن سمة القداسة التي يجب ان يتسم بها فعومل على انه نص بشري يأول وينقد بناء كما اسلفنا على ثقافة المأول وعلمه ، وجاء الحداثيون العرب الذي ظهور في مجتمعاتنا الاسلامية يريدون التعمل مع النص القرآني من هذا المنطلق فبدأوا بتأليف الكتب والبحوث لأثارة هذه الاشكالية القديمة الحديثة محاولين اولا نقد التفسيرات السابقة ومن ثم الخروج عن كل ضابط والنظر الى القرآن الكريم على اعتبار انه نصا بشريا قابلا للنقد ومفتوح الافق للتأويل . هذه الاشكالية تحتاج منا الى وقفة للبحث والدراسة فيها لمعرفة اصولها وتوجه اصحابها ومعرفة الضوابط التفسيرية التي وضعها علماؤنا هل هي تحد من افق انفتاح النص كما يريد الحداثيون تصوير ذلك . ان هذه الورقة البحثية جاءت لتناقش هذه الاشكالية وتجيب عن التساؤل الملح هل ان ضوبط فهم النص حددت من انفتاح النص على مختلف العصور ؟ ، وهل اننا لو تنزلنا عند ما يريده الحداثيون بمختلف مدارسهم سيبقى النص القرآني محتفظا بصفة القداسة فيه ؟ تلك اشكالية ما زالت بحاجة الى دراسة وبحث رغم كثرة البحوث والدراسات التي ناقشت الحداثين في ضوابطهم لفهم النص الا ان هذه الدراسات والبحوث لم تقف على جوهر القضية واساسها ومنطلقاتها وغايات اصحابها . وهل كل ما قالوه واثاروه محل رد وشك وريبة؟ ان هذا البحث قد حاول الاجابة عن هذه

التساؤلات قدر الامكان لذا وسمته ب (اشكالية التأويل للنص القرآني بين الضوابط التفسيرية والقراءة الحداثية) وقد تم تقسيم البحث على مبحثين الاول تحدثنا فيه عن مفهوم التأويل في القران الكريم والثاني عن مفهوم التأويل متمثلا بالهرمنيوطيقيا عند الحداثيين ومرتكزات هذا التأويل ، والخاتمة عرضنا فيها اهم النتائج والتوصيات واتبعنا في هذا البحث المنهجية الاستقرائية النقدية وفي الختام نسأل الله العلي القدير ان يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وان يوفقنا الى السداد في القول والعمل .

الباحث

المبحث الاول: مفهوم التأويل و التأويل في المنظور القرآني

المطلب الاول: التاويل في اللغة والاصطلاح

اولا : التاويل في اللغة:

الجذر اللغوي لكلمة التأويل هو (أول):وهو بمعنى : ابتداء الأمر، وانتهاؤه. أما الأوَّل فالأوّل، وهو مبتدأُ الشيء ... وآلَ يؤُول: أي رجع... يقال : أَوَّلَ الحُكْمَ إلى أَهْلِه: أي أرجَعه وردّه إليهم...والإيالة السِّياسةُ من هذا الباب؛ لأن مرجعَ الرّعيةِ إلى راعيها.... آلَ الرَّجلُ رعِيّتَه يَؤُولُها إذا أَحْسَنَ سياستَها ... وآلُ الرَّجُلِ أَهلُ بيتِه من هذا أَيضاً لأنه إليه مآلُهم وإليهم مآلُه... ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبتُهُ وما يؤُولُ إليه، وذلك قال تعالى(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) الاعراف –٥٣ ،[١]

وأَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّله: دَبَّره وقدَّره وأَوَّله وتَأَوَّله : فَسَّره، وقوله عز وجل قال تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) سورة يونس من الاية –٣٩.

؛أَي لم يكن معهم علم تأْويله، والمراد بالتأْويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ.[٢] ، قال الراغب: (التأويل من الاول أي الرجوع إلى الاصل ومنه الموئل للموضع الذى يُرجع إليه، وذلك هو رد الشئ إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا).[٣] فمدار التأويل من ناحية الاستعمال اللغوي حول الرجوع فهو العودة الى أصل الشيء لاكتشاف دلالته ومغزاه[٤]

ثانيا: التأويل في الاصطلاح:

الناظر الى اقوال العلماء في تحديد معنى التأويل من ناحية الاصطلاح يجد هناك اختلافا في تحديد معناه فهو عند المفسرين غيره عند الاصوليين وهو عند المحدثين غيره عند المتكلمين وهو عند المتقدمين غيره عند المتأخرين .فنجده عند المتقدمين مرادف للتفسير ،ومنه قول مجاهد : ان العلماء يعلمون تأويله يعني القرآن ،وقول ابن جرير في تفسيره القول في تأويل

---

١ ينظر : معجم مقاييس اللغة : ج١ ص١٥٨، مادة (اول)

٢ ينظر: لسان العرب : ١١ /٣٢ ، مادة (أول)

٣ المفردات في غريب القران : ص٣١

٤ ينظر: التأويل وتفسير النص مقاربة في الاشكالية – د عبد الأمير كاظم زاهد – المصباح مجلة فكرية فصلية متخصصة – العدد الثالث خريف – ٢٠١٠ ص١٦

قوله تعالى كذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية[1] اما التأويل في عرف المتأخرين فهو (صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به)[2] ولعل المعنى الاصطلاحي للتأويل لا يتضح الا من خلال ذكر اراء العلماء في التفريق بينه وبين التفسير .

ثالثا- مفهوم التفسير والفرق بينه وبين التأويل

التفسير في اللغة: من فسر فـ(الفاء والسين والراء: كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسر ، يقال: فسرت الشيء وفسرته)[3] ، اما التفسير في الاصطلاح: فقد جاء في تعريفه بأنه:(علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه)[4]. اما الفرق بين التفسير والتأويل فيمكن اجماله على النحو الأتي :

١- ان التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط ،ويجعل التفسير أعم مطلقا ،و كأنه يريد من من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقا أعم من أن يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر[5].

٢- أن التفسير بيان لفظ لا يحتمل الا وجها واحدا،والتأويل توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة[6].

٣- بعضهم يرى أن التفسير هو القطع بأن مراد الله كذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع قال الامام الماتريدي:(التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا،والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا،فان قام دليل مقطوع به فصحيح والا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله)[7].

٤- التفسير بيان وضع اللفظ اما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق،والصيب بالمطر ،والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول ،وهو الرجوع لعاقبة الأمر ،فالتأويل اخبار

[1] ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني ج٢/ص٦ومعايير القبول والرد لتفسير النص القرآني -د عبد القادر محمد الحسين ص٣٤٨

[2] الاكليل لابن تيمية ص٢٢-٢٣،وينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد -د- عبد الغفور محمود مصطفى ص١٧٨

[3] معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٤ ، مادة (فسر)

[4] البرهان في علوم القران : ١/ ١٣

[5] - ينظر: مناهل العرفان ج٢ص٦، ص٦ومعايير القبول والرد لتفسير النص القرآني -د عبد القادر محمد الحسين ص٣٤٨

[6] ينظر:الاتقان في علوم القرآن - السيوطي ج٢-ص٤٦٠ ومعايير القبول والرد لتفسير النص القرآني -د عبد القادر محمد الحسين ص٣٤٩

[7] الاتقان في علوم القرآن ،ج٢،ص٤٦٠

عن حقيقة المراد ،والتفسير اخبار عن دليل المراد،لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل[1] .

٥- وذهب الامام ابو الفرج بن الجوزي الى القول في التفريق بين التفسير والتأويل : (التفسير اخراج الشيء من مقام الخفاء الى مقام التجلي ،والتأويل نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ،فهو مأخوذ من قولك آل الشيء الى كذا أي صار اليه)[2].

٦- وقيل التفسير هو بيان اللفظ عن طريق الرواية ،والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية[3].

٧- وايضا في التفريق بينهما قالوا ان التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة ،والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الاشارة[4] .

٨- وذهب الآلوسي الى القول ان (التأويل اشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين ، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين والتفسير غير ذلك)[5] . هذه بعض الاقوال في التفريق بين التفسير والتأويل ولعل الملاحظ عليها ان التأويل فيه معنى الرجوع فطريقه اصعب من طريق التفسير ، وكل قول من هذه الاقوال يأخذ جانبا في الرجوع . ولعل القول الذي يرى ان التأويل صرف الكلام عن ظاهره الى معنى يحتمله لدليل . هو ارجح المفاهيم لمعنى التأويل والصق بدلالته اللغوية فقد جعل هذا المفهوم الشرط الاساسي في قبول التأويل ورده هو الدليل يقول الامام الطبري : (فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ، من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة ، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد)[6]. ولعل في قول الامام الطبري (فأما الدعاوى فلا تتعذر على احد) دلالة على ما نلحظه عند الحداثيين من دعوى من غير دليل . اذن الفيصل (في اعتبار التأويل قوة الدليل ، لأن ظاهر اللفظ هو الأصل وعليه المعول وهو الراجح ، فلا يجوز العدول عنه الا بدليل سواء كان ذلك الدليل متصلا أو منفصلا أو كان الدليل برهانا عقليا أو نقلا صحيحا من الشارع ، وبهذا يتميز التأويل الذي ذهب اليه أهل الحق من التأويل الذي

---

[1] التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل – تأليف الشيخ حامد بن علي العمادي الدمشقي المتوفى سنة ١١٧١هـ *مطبوع ضمن مجلة الأحمدية العدد الخامس عشر ، رمضان سنة ١٤٢٤هـ ص٣٧*

[2] زاد المسير في علم التفسير ج١ ص٤

[3] ينظر :روح المعاني الآلوسي ج١ ص٤

[4] ينظر: مناهل العرفان ج٢ ص٦ ، ومعايير القبول والرد لتفسير النص القرآني ص٣٥٠

[5] روح المعاني ج١ ص٥

[6] جامع البيان في تأويل آي القرآن ج٦ ص٢٣

ذهب اليه المبطلون من أصحاب الفرق والمتلاعبون بالشريعة الذين يحكمون اهواءهم في التأويل)[١]. فهذا هو الميزان العدل في التأويل والمصير اليه لا مجرد الدعوى والتلاعب بالنصوص وصرفها عن دلالته من غير دليل نقلي او عقلي وفي ذلك يقول الامام الزركشي رحمه الله في تعريفه للتأويل : (هو صرف الكلام عن ظاهره الى معنى يحتمله ، ثم ان حمل لدليل فصحيح وحينئذ فيصير المرجوح في نفسه راجحا للدليل ، أو لما يظن دليلا ففاسد ، أو لا لشيء فلعب لا تأويل)[٢]. وما اكثر المتلاعبين بالنصوص قديما وحديثا.

المطلب الثاني : التأويل في الاستعمال القرآني

جاءت مفردة التأويل في القران الكريم فيما يقارب من سبع عشرة اية فذكرت ثماني مرات في سورة يوسف وحدها ،ومرتان في سورة الكهف ، والسبع الباقيات موزعة بين آل عمران والنساء والأعراف ويونس والاسراء[٣] وهي تدل على عدة معاني منها:

المعنى الاول : دلالتها على عاقبة الامر مما وعد الله في القرآن من الخير والشر يوم القيامة وذلك في قوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) سورة الأعراف الأية –٥٣ يعني : عاقبة ما وعد الله في القرآن على لسان محمد ﷺ أنه كائن يوم القيامة من الخير والشر[4].

المعنى الثاني : تأويله يعني تعبير الرؤيا ، فذلك قوله عز وجل : (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) سورة يوسف من الاية ٦ يعني : من تعبير الرؤيا.

المعنى الثالث : تأويل يعني تحقيق ، فذلك قوله عز وجل : (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) سورة يوسف من الأية ١٠٠ يعني تحقيق وؤياي.

المعنى الثالث : ما يراد من القول قال تعالى:(هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) سورة ال عمران –٧.

---

[١] معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني ص٣٥٠

[٢] البحر المحيط ج٣ ص٤٣٧

[٣] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي ص٩٧

[٤] ينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن محمد – تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ص١١٧

المعنى الرابع : دلالتها على ما يراد من الفعل قال تعالى :(قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) سورة الكهف –٧٨.

المعنى الخامس : تأويله يعني ألوانه ، فذلك قوله عز وجل : (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) سورة يوسف من الاية ٣٧ ، يعني : الوانه ، الوان الطعام قبل أن يأتيكما[1].ويمكن القول بان خلاصة ما تدل عليه لفظة التأويل في الاستعمال القرآني هو ان التأويل عبارة عن التلازم بين موضوعه وبين ما هو موجود أو سيوجد حقيقة وفعلا بحيث يمكن لمسه ومعاينته مثل أي شيء قائم موضوعيا خارج الذهن ووظائفه كما في تأويل الاحلام وتأويل الأفعال[2].

المطلب الثالث : ضوابط التأويل

لو دققنا النظر في كلمة التأويل لوجدناها كلمة عامة تشمل صورا واشكالا متعددة من التأويلات بعضها حق وبعضها باطل ، وهذه الصور من التأويلات ظهرت عبر العصور كالباطنية والملاحدة في الزمن الماضي ،ومذاهب الحداثة وما بعد الحداثة في الزمن الحاضر فتأويلاتهم عبارة عن تحكمات لا تضبطها لغة ولا يحدها منطق[٣] وكذلك فان قضية التأويل من القضايا ذات الحساسية الخاصة فقد كانت من مفترقات الطرق بين المذاهب الاسلامية ، ومجالا واسعا للأخذ والرد اذا كان التأويل بهذه الخطورة والاشكالية فهل ثمت قانون يضبطه ويعصم من الزلل فيه ؟ لقد استشعر العلماء قديما خطورة هذا الامر فحاولوا ان يضعوا ضوابط للتأويل تعصم المؤول من الزلل والزيغ والنص المأول من الابتعاد عن مراده ودلالته وهذه الضوابط والقوانين لم تأتي اعتباطا واجتهادا ارتجاليا ولم تقم على غير دليل ، بل ان:(شروط التأويل مشتقة من وحدة منطق التشريع في مقرراته الكبرى ، ومقاصده الاساسية ، وقواعده العامة ، واحكامه المفسرة والمحكمة ، التي ترسي قواعد النظام العام في التشريع الاسلامي)[٤]،كما ان هذه الضوابط تحدد لنا وظيفة التاويل كآلية لقراءة النص الشرعي ، وابرز هذه الضوابط ما يأتي:[٥]

---

[١] الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص١١٨

[٢] ينظر : دراسات قرآنية القسم الاول مجموعة من الباحثين ص١٤٧-١٤٨

[٣] ينظر : معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني ص٣٨٥

٤ المناهج الاصولية للدريني: ص١٦٨

٥ ينظر: البحر المحيط في اصول الفقه: ٣/ ٤٤٣ فما بعدها؛ ارشاد الفحول:٧٥٩/٢ فما بعدها ؛ المناهج الاصولية :١٦٨ فما بعدها.

١– وجود الداعي اليه وهو المعارضة لنص آخر أو لقطعي العقل ، ولا عبرة بمخالفة العادة أو العقل النسبي المتغير[١] وما لم توجد هذه المعارضة فالتأويل باطل ، لان الأصل هو اجراء النصوص على ظواهرها ،ولا يصح العدول عن هذه الظواهر الا بدليل قوي يجعل الاصل الراجح مرجوحا[٢] .

٢– ان يكون التأويل جاريا على قواعد اللسان العربي وضعا واستعمالا (ومعنى التأويل : هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية ،من غير ان يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز ،من تسمية الشيء بشبيهها أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه ،أو غير ذلك من الاشياء التي عددت في تعريف اصناف الكلام المجازي)[٣] . فالتأويل يعتمد على اللغة ،ومن ثم لا يصح مخالفة قوانينها الضابطة لها وضعا واستعمالا ،والعلاقات المجازية معروفة ومشهورة ، فلا يصح تجاوزها او اختراع علاقات لم يعرفها اهل العربية ،ومن هنا قيل ان التأويل ان كان من قبيل (المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف ، أو من المجاز البعيد فالحق تركه ، وان استوى الامران فالاختلاف في جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية والامر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين)[٤]

٣– يجب الاعتماد على أقوال المتكلم لفهم كلامه فلا يصح العدول عنها[٥] ، اذ لا اجتهاد في مورد النص فما أجمله المتكلم في مكان يرجع فيه اليه ان بينه في مكان آخر ، وما أطلقه في مكان يرجع فيه الى قيده الذي قيده به[٦].

٤– فان لم يوجد نص مفصل يبين مراد المتكلم وجب اختيار أليق المعاني المناسبة للمقام مما ينسجم مع المقررات الأصلية للشريعة الاسلامية وأصول الدين وقواطع العقول ،وذلك أن الكلمة قد تكون من قبيل المشترك اللغوي، فلا يصح حملها على جميع معانيها ، خاصة اذا كانت تلك المعاني متنافرة متباينة ، أو أن بعضها لا يناسب المقام ، فيجب الاجتهاد لترجيح المعنى المراد اعتمادا على القرائن والادلة الأخرى[٧].

٥– من القواعد المهمة للتأويل والضوابط الاساسية للوصول اليه القاعدة التي صاغها الامام الغزالي وتابعه فيها الامام الرازي وهي كما صاغها الغزالي رحمه الله (لا يجمع بين متفرق

---

[١] ينظر : قانون التأويل لابن العربي ص٢٥١–٢٥٢،ومعايير القبول والرد ص٣٨٧

[٢] ينظر الانتصار للقرآن – الباقلاني ج٢،ص٧٤٩، ومعايير القبول والرد ص٣٨٧

[٣] فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال – ابن رشد ص٣٢ وينظر: معايير القبول والرد ص٣٨٧

[٤] فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الاكوان – ابن دقيق العيد ص٨٤

[٥] : معايير القبول والرد ص٣٨٨

[٦] المصدر نفسه ص٣٨٨

[٧] ينظر : أساس التقديس في علم الكلام – الرازي ص٧٦ومعايير القبول والرد ص٣٨٩

ولا بفرق بين مجتمع)[1] . وهذه القاعدة لها شقان أحدهما خاص والآخر عام فالشق الاول لا يجمع بين متفرق خاص بالنصوص الموهمة للتشبيه في القرآن الكريم والسنة النبوية فليس(بخاف على ملم بالعربية وبمناحي الكلام في اللسان العربي المبين أن لكل كلمة مع صاحبتها شأنا ليس لها مع كلمة أخرى ،فمن جمع ما فرقه الله سبحانه في كتابه من الصفات العليا أو فرق ما جمعه فقد خان الله حيث جعل صفات الله سبحانه عرضة لتقولات المتقولين من أصحاب الأهواء وكذلك ما ورد في السنة من الصفات والأفعال وكم بين المجسمة من ألف فيما يسمونه التوحيد أبوابا في اليد والعين والساعد والأصبع واليمين والذراع والكف والجنب والقدم والحقو والصدر ونحوها ، جمعا لما تفرق في الروايات المختلفة لمختلف الهوى في نفوسهم)[2]. والشق الثاني من هذا الضابط وهو لا(يفرق بين مجتمع)عام في كل نص يراد تأويله ومعناه أن النصوص قد جاءت مقترنة بما يبين معناها ويرشد الى المراد منها ، فلا يجوز فصلها عن سياقها وسباقها وقرائن الأحوال المزيلة لاشكالها[3] كما حاول الحداثيون ذلك في تعاملهم مع القرآن الكريم، لذلك قال الامام الغزالي رحمه الله (فلا يفرق بين مجتمعه ،فان كل كلمة سابقة على كلمة أو لاحقة مؤثرة في تفهيم معناه مطلقا ومرجحة الاحتمال الضعيف فيه ،فاذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها)[4]

٦- يجب الامساك عن التصرف والاشتقاق وكذلك القياس في اللفظ المتشابه ، (فلا نقول في قوله (استوى) انه مستو لما اثبتنا في علم البيان أن اسم الفاعل يدل على كون المشتق ممكنا ومستقرا ، أما لفظ الفعل فدلالته على هذا المعنى ضعيف)[5] .

٧- لا نقطع بالتأويل الا اذا كان دليله قاطعا ان التأويل في كثير من الأحيان يكون دليله ظنيا يترجح في ذهن المجتهد فيجب عليه اعتقاده ،ولكنه لا يصل الى حد القطع فلا يقطع به ،وقد يكون قطعيا فلا يجوز العدول عنه[6]، قال الامام الغزالي : (فان قيل فقد فرقتم بين التأويل المقطوع والمظنون فبماذا يحصل القطع بصحة التأويل قلنا بأمرين : أحدهما أن يكون المعنى مقطوعا ثبوته لله تعالى كفوقية المرتبة ، الثاني أن لا يكون اللفظ الا محتملا

---

[1] ينظر: الجام العوام عن علم الكلام – الامام الغزالي ص٢٩-٣٠واساس التقديس ص١٤١
[2] حاشية العلامة الكوثري على السيف الصقيل ص١٦٦
[3] معايير القبول والرد ص٣٩٣
[4] الجام العوام عن علم الكلام ص٣١
[5] أساس التقديس الرازي ص١٤١
[6] معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني ص٣٩٦

لأمرين وقد بطل أحدهما وتعين الثاني)[1] فالتأويلات المخالفة لأساسيات الشريعة وأصول الدين ومقررات الاسلام الأولى لا تصح بأي حال من الاحوال كما فعل الحداثيون ذلك .

٨- لا تأويل الا بدليل معتبر من العقل أو النقل : وذلك بناء على المنهج العلمي الذي أسسه المسلمون اعتمادا على القرآن العظيم في نحو قول الله عز وجل : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) سورة الاسراء الاية ٣٦ ، والدليل اما دعوى تحتاج الى بينة أو نقل يحتاج الى توثيق ، وبدون الدليل والبرهان يكون التأويل تحكما مردودا وترجيحا بدون مرجح وهو باطل ، والدليل المردود أو الموضوع أو شديد الضعف كلا دليل ، وهذا النوع من التأويلات المردودة من شأن الفرق الضالة أو المبتدعة عموما ، ويعبر عنه أهل العلم أحيانا بأنه تأويل سخيف أو باطل أو مردود أو مستكره، أو تأويل الجاهلين[2]

٩- لا يجوز التأويل نصرة للمذهب ، لان القرآن حاكم ومهيمن ومبنى التأويل على التوفيق بين ما يبدو متعارضا من أدلة الشريعة فيما بينها ، أو بين العقل والنقل ، أما التعارض بين نصوص الشريعة والمذهب فيجب تعديل المذهب ليوافق الشريعة لا العكس[3]. تلك بعض الضوابط والقوانين المهمة التي وضعها العلماء لتأويل النص وهي كما نلاحظ تعصم المؤول من الشطط والانحراف ، والنص من الخروج عن مبناه ومعناه ولازم دلالته كما فعل الحداثيون في تعاملهم مع التأويل للنص القرآني فقد خرجوا في تأويلاتهم عن كل ضابط عاصم بل حاولوا سلب النص المقدس صفته القدسية العلوية كما سيتضح عندنا في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: مفهوم التأويل عند المدرسة الحداثية ومنطلقاته

لقد ساقت الحداثة بنسختيها الغربية والعربية الاسلامية عدد من النظريات لقراءة النص بصورة عامة والنص الشرعي بصورة خاصة ، واستندت هذه القراءات بالجملة على أساس (التأويل)، ولكن بمنظور يختلف يكاد يكون كلياً عن (التأويل الاسلامي)، الذي سبق بيانه، بل نستطيع القول إنه ولو على سبيل الاطروحة، ان (التأويل) يشكل العمود الفقري للقراءة الحداثية برمتها ، ولقد جاء هذا الاهتمام الخاص؛ لكون**(التأويل هو الوجه الاخر للنص)**[4]، كما إنه يمثل **(جهد عقلي ذاتي**

---

[1] الجام العوام عن علم الكلام ص٢٨، وينظر : البرهان في علوم القرآن ج٢-ص٢٠٦،و الاتقان في علوم القرآن ج٢-ص٨٤

[2] معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني ص٣٩٩

[3] المصدر نفسه ص٤٠٠

٤ مفهوم النص: ص٢٤٧

لإخضاع النص الديني لتصورات القارئ والمفسر لمفاهيمه وأفكاره)[1]، ومن النظريات الحداثية الغربية المعاصرة التي طرحت في مجال قراءة وفهم وتأويل النصوص وخصوصاً النصوص الدينية ، والتي تشكل العماد للقراءة الحداثية ما يعرف بـ (الهرمنيوطيقا) التي كان لها حضوراً مؤثراً ومهماً في البحوث المعاصرة حول المعرفة الدينية وتفسير النص الديني والشرعي، وربما كانت الاكثر تأثيراً في هذا المجال من غيرها من النظريات، ، وقد اعتمدت هذه الهرمنيوطيقا التأويلية على مجموعة من الاسس والمرتكزات شكلت بمجملها الاساس الذي تستند عليه في فهمها وتأويلها للنصوص، وسنأتي على بيان ذلك، ولكن بعد أن نقف أولاً عند بيان جذرها اللغوي وحدها الاصطلاحي.

المطلب الاول : الهرمنيوطيقيا في اللغة والاصطلاح

اولا: (الهرمنيوطيقا) في اللغة: الهرمنيوطيقا مصطلح يوناني يرتبط جذره المعرفي بـ (هرمس) الذي هو رسول الالهة عند اليونانيين ، الذي كان عليه (بوصفه وسيطاً) ان يفهم ويؤول ما تريد أن توصله الالهة إلى البشر، قبل أن يترجم ويشرح مقاصدها اليهم،ثم تطورت (الهرمنيوطيقا) حتى اصبحت علما خاصاً في عصري النهضة والاصلاح الديني لمواجهة السلطة الدينية التي تزعم ان لها وحدها الحق في فهم النصوص المقدسة، ولهذا تبنى الاصلاحيون البروتستانت في ثورتهم ضد افكار الكنيسة هذا المفهوم[2]،كما ورد ان (الهرمنيوطيقا) مشتقة من الكلمة اليونانية الذي تعني يفسر أو يوضح ، أو يعبر أو يبين.[3]

ثانيا: الهرمنيوطيقا في الاصطلاح:اما (الهرمنيوطيقا) في الاصطلاح فقد وردت بصيغ متعددة تعكس تطور الدلالة التاريخية لهذا المفهوم باعتبار ان الهرمنيوطيقا (كأي مصطلح علمي يتأثر بدلالات جديدة ، ويتحقق ذلك التأثر تبعا لتطور الحقل المعرفي الذي ينتمي اليه المصطلح ، ما يجعله يتسع لحمل مضامين لم تكن مثارة من قبل ، وما شهده مصطلح الهرمنيوطيقا على وجه الخصوص من تطور كبير في الدلالة يستوجب نظرة خاصة ، تتجاوز المعنى الحرفي والدلالة الشكلية للكلمة ؛ وذلك لأن الهرمنيوطيقا في دلالتها الاولى لا تتجاوز الوصف المرحلي للمصطلح ، وهي دلالة بالتاكيد ذات معنى محدود، تكتسب وجودها الاصطلاحي من خلال ارتباطها المنهجي مع غيرها من المصطلحات في الدائرة المعرفية الواحدة)[4] .

---

١ الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القران: ص٥١٨

٢ ينظر: المعجم الفلسفي: وهبه ، مراد ص٦٦٤-٦٦٥

٣ ينظر: العلمانيون والقران الكريم : ص٦٧٧

٤ الهرمنيوطيقا في الواقع الاسلامي، السيد احمد ، معتصم ، ص١٧

لذا جاء في تعريفها بحسب تطورها التاريخي بانها:[1]

١. بمعنى مطلق التفسير فعرفت على انها (لفظ يوناني... وضعه ارسطو جزءا من اجزاء المنطق ، ويعني به قضية العبارة ،وهو الكتاب الثاني من كتب المنطق بعد كتاب المقولات؛ اي كيف يمكن تفسير العبارة)[2]

٢. بمعنى نظرية تفسير الكتاب المقدس فهي: (مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير الى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب ان يتبعها المفسر لفهم النص الديني – الكتاب المقدس–)[3]

٣. بمعنى علم المنهج اللغوي وعلم ادراك ما وراء النصوص فهي:(ذلك الجزء من الدراسات اللاهوتية المعني بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية تبعد عن المعنى الحرفي المباشر ، وتحاول اكتشاف المعاني الحقيقية والخفية وراء النصوص المقدسة)[4].

٤. بمعنى امتلاكها لشروط مطلق الفهم عرفت بانها: (فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم)[5].

كما ان هذا المفهوم اتسع(في تطبيقاته الحديثة ، وانتقل من مجال علم اللاهوت الى دوائر اكثر اتساعا تشمل كافة العلوم الانسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع... والنقد الادبي)[6]،والذي يمكن فهمه مما تقدم ان مصطلح (الهرمنيوطيقا) ، بوصفه مصطلحا له عنوانه الخاص في الفكر الغربي ، فانه يقترب من حيث الدلالة مع مصطلحين لهما استخدامهما في الثقافة الاسلامية ، وهما مصطلحا التفسير والتأويل ، وان كان قربه من التأويل اكثر، حيث الوحدة الدلالية الجامعة بينهما كامنة في التأكيد على مسألة فهم النصوص، نعم تفترق (الهرمنيوطيقا) مع التفسير والتأويل في كون الاخيران (كما تقدم) وضعا اساسا لفهم النصوص الدينية ، وخصوصا (التأويل) حيث ضمن شروط إعماله فانه يميز اكيدا بين النص الديني وغيره ، بينما لم نجد ذلك التمييز ، في (الهرمنيوطيقا) كفن من فنون التأويل الغربي ، ونظرية من نظريات الفهم ، بحيث طبقت مناهجها على جميع

---

١ للوقوف على الدلالة التاريخية للهرمنيوطيقا ، وينظر: الهرمنيوطيقا في الواقع الاسلامي : ص١٧ فما بعدها.

٢ ينظر: الهرمنيوطيقا في الواقع الاسلامي : ص٢٠

٣ اشكاليات القراءة واليات التاويل ابو زيد ، نصر حامد ، ص١٣

٤ ينظر: الهرمنيوطيقا في الواقع الاسلامي : ص١٨

٥ ينظر: المصدر نفسه ، ص٢٣ .

٦ اشكاليات القراءة واليات التاويل : ص١٣

النصوص المقدس منها وغير المقدس ، والمطلق منها والنسبي ، فالجميع عندها خاضعة لمنهج واحد هو فهم النصوص[1] .

المطلب الثاني: اسس ومرتكزات التاويل الهرمنيوطيقي

تعد (الهرمنيوطيقا) باعتبارها قراءة تأويلية من المناهج الغربية ، التي استخدمت في تأويل النصوص المقدسة ، بواسطة الحداثويون العرب والمسلمين ، وانها تقوم على أسس ومرتكزات خاصة تميزت بها ، ثم اسقاطها على النص الشرعي، وعليه سنذكر هنا اهم المرتكزات إيجازًا:

اولا: موت المؤلف

من الاسس الاساسية التي تميزت بها القراءة الهرمنيوطيقية (بل تكاد تكون هي القوام والاساس لباقي الاسس الاخرى) ، هو ما يعرف بنظرية **(موت المؤلف)** ، ان اس هذ النظرية يعتمد على كون ان الكاتب هو منشئ النص ، وهذه وظيفته ، وهي وظيفة لا يجوز أن تمتد إلى ابعد من ذلك بحيث لا يكون له وجود مستقبلي إلا به بحيث ان النص بعد إنشائه يستقل بوجود خاص به ، ويستطيع أن يكون حرا تام التحرر عن صاحبه ، فحسب هذه النظرية فانه يتم الفصل بين صاحب النص وقائله (المؤلف) ، وبين نصه وقوله ، وبذلك تنقطع الصلة بينهما ، وتصبح اللغة هي التي تتكلم وليس (المؤلف) ، الى درجة يصل الامر فيها الى ان (قراءة كتاب ما، هي النظر الى مؤلفه كأنه قد مات... وبالفعل تصبح العلاقة مع الكتاب تامة وثابتة بشكل ما ... آنئذ لا يمكن لهذا الأخير ابدا ان يجيب ، وما يبقى هو قراءة عمله فقط)[2].

ثانيا: انعدام القراءة البريئة: (كل قراءة اساءة قراءة) من الافكار التي شاعت بعد سيطرة الحداثة وما بعدها ، وعدت من مرتكزات واسس التأويل الهرمنيوطيقي: هو مبدأ اعتبار ان قراءة النصوص لايمكن ان تكون بريئة ، بمعنى انه ليس بمقدور القارئ والمتلقي لها ان يتعامل معها على انها نصوص شفافة صريحة وواضحة المعاني ، بل يتعامل معها على اساس ان كل قراءة للنص هي اساءة قراءة او سوء فهم.[3]

وهذه الفكرة ترتبط في الاساس بموقف فلسفي سيطر على العقل الغربي والعربي مفاده ؛ اليأس من تحصيل اليقين، فوفق هذا المبدأ فان اساءة القراءة او سوء الفهم، وعدم تحصيل يقينية المعنى ، امرا متكررا ومستمرا، بحيث تعد كل قراءة للنص هي اساءة قراءة له... وهكذا ، الا ان فكرة اساء القراءة وحاجتها الى قراءة اخرى لا تختلف في الحقيقة مضمونا عن القول بان كل القراءات

---

[1] ينظر:القراءة الحداثية للنص الشرعي التاريخانية أنموذجا دراسة استقرائية تحليلية – علي صالح نشعان ص١٢٩

٢ من النص الى الفعل ، ريكور ، بول، ترجمة محمد برادة ، حسان بورقية ص١٠٦

٣ ينظر : التفكيكية: زيما : ص١٤٨ فما بعدها.

صحيحة ، فهما يشتركان في انهما ينتظران قراءة اخرى بتفسير اخر للنص ، بحيث تحول القراءة الاولى الى اساءة قراءة وهكذا[1]

وعليه فان اساءة القراءة لا تعني قراءة خاطئة او غير صحيحة وانما هي عملية الخروج عن المألوف لكل قراءة.[2]

ثالثا: الرمزية

من المبادئ الاساسية التي تؤمن بها الهرمنيوطيقا التأويلية ، في قراءتها للنصوص ، ان النص يستند في اساسه على اعتبار ان اللغة هي نظام من الرموز والعلامات والاشارات ، لذلك فالرمزية هي سمته الاساسية ، والتي هي:(كل اتجاه في الكتابة فيه استعمال الرموز ، إما بذكر الملموس وإعطائه معنى رمزيا ، أو بالتعبير عما هو مجرد من خلال تصويرات حسية مرئية كحروف الكتابة او اللوحات الفنية مثلا)[3]، فيحضر الرمز هنا كاسلوب للتعبير ، بدلا من التعبير المباشر، لذلك تكون الرمزية ملامسة ، بل منخرطة في ما يعرف لدى التفكيكيين بـ(**نظرية اللعب**)، وهي نظرية قائمة على اساس انه (ليس هناك من نص متجانس ، هناك في كل نص ... قوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك للنص ، هناك دائما امكانية لان تجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه وجعله يتفكك بنفسه)[4]، فوفق هذه النظرية تتمتع الدوال بحرية اكبر مخترقة بذلك كل القوانين التي تحكم بإحالة الدال الى المدلول ، وبتعبير اخر احالة النص الى المعنى والمضمون ، فيكون هذا الدال وفق نظرية (اللعب) قد احيل الى دلالات مستمرة لا نهائية مما يؤدي الى متاهة وبالتالي تغييب المعنى، فالرمزية لها حظوتها الكبرى في الخطاب الحداثوي عموما والهرمنيوطيقي خصوصا الى درجة ان الانسان في الخطاب الحداثي يحيا بالرمز، وما يهمنا هنا هو اسقاط الرمزية على النص الشرعي لا سيما النص القرآني ، الذي جعله الخطاب الحداثي ومن خلال بوابة التاريخانية ، وعن طريق مدخل الهرمنيوطيقيا عبارة عن مجموعة رموز ، او مجازات ، لكي يستطيع ان يرمز بها لما يريد ، ويضمنها بما يرغب ، فالرمزية تتيح للقارئ حرية اوسع في تقوّل النص ، لذلك فانه يُتعامل مع القران الكريم كتعامله مع الانجيل، كونهما مجموعة مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري ، وان هذه المجازات لا يمكن ان تكون قانونا واضحا.[5]

---

١ ينظر: المرايا المحدبة : ص٣٤١

٢ ينظر: المصدر نفسه : ص٣٤٤

٣ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: ص١٨١.

٤ الكتابة والاختلاف: ص٤٩

٥ ينظر: تاريخية الفكر العربي والاسلامي : ص٢٩٩.

لذلك فاننا نستطيع ان نقول ان **(الرمزية)** هي مقاربة او تكاد تكون مطابقة للقراءة الشاعرية ، والتي هي: (قراءة النص من خلال شفرته بناء على معطيات سياقه الفني ، والنص هنا خلية حية تتحرك من داخلها مندفعة بقوة لا ترد ؛ لتكسر كل الحواجز بين النصوص، ولذلك فان القراءة الشاعرية تسعى إلى كشف ما هو في باطن النص، وتقرأ فيه ابعد مما هو في لفظه الحاضر)[١]

ووفق هذا المنظور الهرمنيوطيقي ، فان لغة القران ينظر اليها على انها رمزية تلميحية في اغلب الاحيان، ونادرا ما تكون تصريحية واضحة وبينة ، وعلى ذلك فهي لغة قابلة للتعميم على الاحوال المختلفة.[٢]

ولابد من الاشارة هنا ان الغاية التي تريد ان تحققها الهرمنيوطيقا في اسقاط (الرمزية) على النص القرآني ، هي تأكيد تعدد القراءة له ، مادام لا يمتلك (بحسب مبانيها) نصوصا تصريحية غالبة ، مما ينتج عن ذلك من تعدد معانيه ، بل قابليته على التعدد باستمرار والتشظي الى ما لا نهاية[٣] ، فتكون كل قراءة هي اساءة قراءة ، والقراءة برمتها نسبية ورمزية ، ولذلك يصف (اركون) – وهو من اتباع المنهج التاريخاني في قراءة النصوص– هذا الموقف بقوله: (لو لم نتخذ هذا الموقف التعددي منهجيا لكنا طمسنا احدى خصائص القران الاساسية ، الا وهي: قابليته لان يعني ؛ اي لان يعطي معنى ما باستمرار ويولّد هذا المعنى)[٤]

رابعا: لا نهائية المعنى

المرتكز الرابع من مرتكزات الهرمنيوطيقا التأويلية هو(**لا نهائية المعنى)** وهي نتيجة طبيعة بعد القول بـ(موت المؤلف) وغياب مقاصده وكذلك عدم وجود (قراءة بريئة) ، وكون النصوص مجرد رموز ، فان كل ذلك سينتج عنه القول بـ **(لا نهائية المعنى)** ، وفيه تكون مهمة القارئ مع النص هي ان يتمكن من ابداع نصوص اخرى الى جانب النص الاصلي بحيث تجعلنا ندور في معنى لا نهائي، فالنص لم يبقى له معنى، والمعاني التي تلحق به ليس للنص ، وانما هي معاني الصقها القارئ بالنص وذلك ؛ لان(كل قراءة هي عملية تشريح للنص ، وكل تشريح هو محاولة استكشاف وجود جديد لذلك النص، وبذا يكّون النص الواحد آلافا من النصوص يعطي ما لا حصر له من الدلالات المتفتحة ابدا)[٥]

---

١ الخطيئة والتكفير: ص٧٠

٢ ينظر:القران من التفسير الموروث الى نقد الخطاب الديني: هامش ص١٥٤

٣ ينظر: الاسلام والعصر تحديات وافاق : ص١١٢

٤ الفكر الاسلامي قراءة علمية : ص٢٧٤

٥ الخطيئة والتكفير: ص٧٩

ففي (لا نهائية المعنى) يغيب المركز الثابت للنص وفق نظرية (نقد التمركز) التي هي احدى مرتكزات المنهج التفكيكي ، بحيث لا تبقى اي نقطة ارتكاز يمكن الانطلاق منها الى ايجاد تفسير واحد لأي نص ، وسيظل النص يقبل تفسيرات مختلفة ومتعددة بعدد مرات قراءته.[١] فتكون القراءة على هذا النحو هي نوع من احالة النص من دال الى اخر ، بحيث لا يستقر على مدلول واحد ؛ وبالتالي الوصول الى معنى المعنى[٢].

وبما ان المبدأ الهرمنيوطيقي التأويلي من العرب والمسلمين ، وقد تعاطوا مع النص الشرعي والقرآني ، باعتبارهما نصوص لغوية مطلقة ، لا خصوصية لها في قبول او رفض ما تمليه الهرمنيوطيقا من مفاهيم ، فعليه يكون النص الشرعي لا سيما القرآني منه ، نصا تكون فيه المعاني لا نهائية ولا تقف عند حد[٣] ، وعلى هذا لا يحق لأي تفسير أو تأويل ان يغلق (القران) ؛ لان النصوص فيه تنتج دائما دلالات جديدة مفتوحة ومطّردة.[٤]

خامسا: النسبية

المرتكز الخامس من مرتكزات الهرمنيوطيقا التاويلية هي (**النسبية**) وهي هنا من النسبي الذي هو **((مقابل للمطلق))**.[٥] فاذا كان المطلق يدل على التام او الكامل المتعري عن كل قيد ، او حصر ، او استثناء ، دلّ النسبي على المقيد ، او الناقص ، او المحدود.[٦]

وعليه تكون النسبية هنا هي (الاعتقاد بعدم وجود معايير مطلقة ، أو معان ، أو حقائق مطلقة ، وبأن قوة أي من هذه المعايير ، أو المعاني ، أو الحقائق ، قوة نسبية ؛ بمعنى : أنها تتوقف على الظروف أو السياقات ، أو العلاقات)[٧] ، وترتبط (النسبية) ارتباطا وثيقا بمرتكز (لانهائية المعنى) كون كلا المصطلحان يشتركان في مبدأ : أن ليس هناك ثوابت في قراءة النصوص ، وبالتالي ليست هناك معايير مطلقة لها ، وانها تتسم بالنقص والمحدودية ، لا بالكمال والاطلاق، ولذا نجد الخطاب الحداثوي الهرمنيوطيقي التأويلي ، يتعامل حتى مع النص الشرعي والقراني بنفس هذا التوجه النسبي ، فهو لا ينظر الى النص القراني او الشرعي على انه نص مطلق ، بل ينظر اليه

---

١ ينظر :الخطيئة والتكفير : ص٧٦

٢ ينظر : التفكيكية دراسة نقدية ، زيما : ص٧٧

٣ العلمانيون والقران الكريم: ص٤٢٩

٤ ينظر : النص القراني– طيب تيزيني: ص٥٤

٥ المعجم الفلسفي – جميل صليبا : ص٤٦٥

٦ ينظر : المعجم الفلسفي – جميل صليبا : ص٤٦٥

٧ المصطلحات الادبية الحديثة : المعجم الملحق ص٩١.

ويتعامل معه على انه نص نسبي، محدود ومتوقف على جملة الظروف المحيطة به، وهي نظرة مغايرة تماما لنظرة الاصولي (المدرسي) في كون النصوص الالهية ؛ لكونها مقدسة فهي مطلقة وتامة لا يعتريها النقص والمحدودية ، والا لخرجت تخصصا عن ذلك.

فـ (اركون) مثلا يعلن صراحة انه يهدف من نقده وتفكيكه هو (زحزحة الوحي) من ارضيته التقليدية المعروفة بالقداسة الى ارضية التحليل الالسني ؛ وبالتالي انزال الكتب المرتبطة بالوحي من مكانتها المقدسة المتعالية الى صورة تجعله مثل اي كتاب ارضي.[١]

ولما كان كذلك فانه يجب ان يقرأ قراءة هرمنيوطيقية جديدة ، فهو كتاب ينص على التأويل ، ويقبل التأويل فهو نص تأويلي ، او نص التأويل بامتياز، فهو نص مفتوح على جميع المعاني ، وعلى كل البشر ، انه كون من الآيات والعلامات والرموز، وعليه لا يمكن لتفسير ان يستنفده بصورة نهائية ، ولا يمكن لقراءة ان تغلق القول فيه.[٢]

سادسا: التناص

من مرتكزات التأويل الهرمنيوطيقي الحداثوي هو **(التناص)** ، والذي يشير الى :**((العلاقة بين نصين أو أكثر... التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص؛ أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها))**[٣]، ويفهم من ذلك ان(التناص) عملية تفاعل نص وإفادته من نص أو نصوص أخرى لإنتاج المعنى، فهو بذلك عملية**((نَظَرُ نص لاحق أو توجيه لهذا النص أو فكرة تتعلق به ...إلى نص سابق أو فكرة تتعلق به أو رأي فيه ، على سبيل الموافقة أو المخالفة أو المزواجة بينهما))**[٤] ، فكل نص ما هو الا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة.[٥] فالنص بذلك ليس ذاتا مستقلة او مادة موحدة ، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص اخرى[٦] .

سابعا: الفراغات:

المرتكز الاخر من مرتكزات الهرمنيوطيقا ، هو ما يعرف بـ (الفراغات)، او قراءة ما بين السطور، وهي مقولة تعني : ان النص يحفل بفجوات ومناطق صمت ، وان وجود تلك الفجوات والصوامت

---

١ اين هو الفكر الاسلامي المعاصر : ص٥٥ فما بعدها.

٢ ينظر: نقد النص: ص٨٧

٣ المصطلحات الأدبية الحديثة: المعجم الملحق: ص٤٦

٤ من آفاق الفكر البلاغي عند العرب : ص٤٨

٥ ينظر: دراسات في النص والتناصية : ص٣٨

٦ ينظر: القراءة الحداثية للنص الشرعي ص١٣٨

تعطي اشارة ودلالة ان النص غير مكتمل ؛ لانه **((لا يقول الحقيقة بل يخلق حقيقيته))**[1] ، وان هذه الفراغات في النص هي تمنح القارئ او المتلقي للنص الحرية في تقويل النص ، واستنطاقه ، وهي التي تمنح النص لانهائية المعنى ، مع تغييب دور المؤلف ، حسب مقولة (موت المؤلف).

والمهم هنا ان القراءة الحداثية الهرمنيوطيقة ، قد تعاملت مع النص الشرعي والقرآني وفق هذه المقولة (الفراغات) ، وان الاساس ، اوالسبب الكامن وراء اسقاط تلك المقولة عليه ، هو عدم الثقة الكاملة بالنصوص ، وخصوصا النصوص التي تتصف بالقوة والمتانة الذاتية ، واهمها النصوص الالهية والمقدسة ، وذلك لنفوذها وسطوتها وهيمنتها ، وهذا ما صرح به دعاة الحداثة من المسلمين فقالوا:(نحن لا نثق بالنصوص كل الثقة ليس ، ليس لأنها تتصف بالضعف والركاكة ... نحن لا نثق بها بسبب من قوتها بالذات ... ذلك ان الكلام القوي يمارس سلطته في الحجب والمنع والاستبعاد... يصدق على كل النصوص التي تحتمل التأويل ، وبنوع خاص على النصوص الشعرية والنبوية والفلسفية)[2] ، وسر قوة تلك النصوص ، كامن في ما وراء النص ، فيما لم يقله النص ، ولم يصرح به وعليه ، فلا ينبغي التعامل مع النصوص بما تقوله ، وتنص عليه ، او بما تعلنه وتصرح به ، بل بما تسكت عنه ، ولا تقوله ، بما تخفيه وتستبعده.

ولذا على قارئ النص الشرعي ومفسره ومؤوله ، وفق مقولة (الفراغات) ان يملئ فجوات النص ، وبعبارة فنية تقويل النص ما لم يقله ، وان مهمته (ان لا يؤخذ بما يقوله النص ، مهمته ان يتحرر من سلطة النص ؛ لكي يقرأ ما لا يقوله)[3].

وعليه نفهم من ذلك ان القراءة الحداثية وفق مقولة (الفراغات) ، في تعاملها مع النص الشرعي ، انما تبحث عن الجزء **(المسكوت عنه)** من النص ، وتعتبره هو الجزء المهم منه ، وتكون بذلك قد غيبت ظاهر النصوص بالمطلق ، مع ان ظاهرها حجة (ما لم تقم قرينة معتد بها على خلاف هذا الظاهر) ، ولذا اكد علماء الاصول على **(حجية الظهور)** للنص الشرعي والتي بيانها:

انا إذا واجهنا دليلا شرعيا (نص شرعي) ، واردنا تفسيره فهنا نستعين بظهورين:[4]

---

١ نقد النص: ص١٥

٢ نقد النص : ص٢٧٦

٣ المصدر نفسه: ص٢٢

٤ ينظر: دروس في علم الاصول: ص٧٠ فما بعدها.

الظهور الاول: ظهور اللفظ في مرحلة الدلالة التصورية في معنى معين، ومعنى الظهور في هذه المرحلة أن هذا المعنى أسرع إنسباقا إلى تصور الانسان عند سماع اللفظ من غيره من المعاني ، فهو أقرب المعاني إلى اللفظ لغة.

الظهور الثاني: ظهور حال المتكلم في أن ما يريده مطابق لظهور اللفظ في مرحلة الدلالة التصورية أي أنه يريد أقرب المعاني الى اللفظ لغة.

ومعنى حجية الظهور هنا إتخاذه (الظهور) أساسا لتفسير الدليل اللفظي على ضوئه، فنفترض دائما أن المتكلم قد أراد المعنى الاقرب إلى اللفظ في النظام اللغوي العام أخذا بظهور حاله،اما الدليل على حجية الظهور فأن الائمة والصحابة كانت سيرتهم قائمة على العمل بظواهر الكتاب والسنة ، وإتخاذ الظهور أساسا لفهمها كما هو واضح تاريخيا من عملهم وديدنهم ولم يثبت الردع عنها من قبلهم،اذن حجية العمل بظاهر (النص الشرعي) ،لا ينسجم تماما مع القول بمقولة (الفراغات) وفق المنظور الحداثوي ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فانه ليس على من يتعامل مع **(النص الشرعي)** الحق في تقويله ما لم يقل ، بل ان النص لو اراد ان يقول لقال ، بحيث نجد الآيات صريحة وواضحة بهذا الشأن قال تعالى محذرا نبيه وهو افضل مخلوق يفهم مراده قال تعالى: (الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) الحاقة: ١ -٧

قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) النجم: ٣ – ٤

، فاذا كان هذا الامر مع انبياءه وحملة وحيه ، فكيف الحال مع غيرهم.

ثامنا: الاصل في الكلام التأويل

من مرتكزات الهرمنيوطيقا التأويلية هو ان الاصل في الكلام (النصوص) التأويل، وما تقصده الهرمنيوطيقا هنا، بأن كل كلام او نص قابل للتأويل، انما ينطلق من كون النصوص هي مجرد لغة انسانية موظفة ، وان اي عملية معرفية خاصة بها تكون نسبية ، وان التأويل لازمة من لوازم اللغة، وهو صفة ملازمة لكل خطاب دون تفريق بين النص الواضح وغيره.[١] فالتأويل ضرورة للنص ، ولا يوجد نص الا ويمكن تأويله، كما ان التأويل هو انتاج للنص بحيث ان القارئ يخلق النص ،

---

١ ينظر: سلطة النص، عبد الرحمن ، عبد الهادي ،ص٢٨ فما بعدها.

فهو خلاّق آخر يواكب خلاّق للنص[1] ؛ وذلك لان القراءة للنص ليست استهلاكا ، وانما اعادة انتاج واعادة كتابة له.[2]

وبهذه المقولة (الاصل في الكلام التأويل) ، تجاوزت الهرمنيوطيقا الكلام البشري ، فشملت بها النصوص الشرعية المقدسة انطلاقا من ان كل نص خاضع للتأويل، فعلى سبيل المثال ، انها تعاملت مع النص القرآني ، باعتباره متشابه كله ، وان فيه دلالات محتملة لا تحصى ، وان النص المحكم ، الذي لا يحتمل الا دلالة واحدة لاوجود له في ارض البشر بعجزهم ، وانما يكون في السماء (اللوح المحفوظ) ، وان اهل الارض يريدون النص المتشابه لتعدد الاحتمالات فيه ، والذي بدوره يلبي حاجات الواقع بكل متغيراته وتطوراته.[3]

طبعا هذا الكلام على اطلاقه غير تام ، وذلك من جهتين:

الجهة الاولى: ان القران ليس متشابه كله، بل فيه من النصوص المحكمة التي لا تقبل التأويل مطلقا، مثل آيات العقائد والحدود ونحوها ، وهذا صريح القران الكريم،قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)آل عمران: ٧

الجهة الثانية: ان علماء الاصول يؤكدون ان الاصل في الكلام هي (الحقيقة) وليس (التأويل).

تاسعا: انسنة النص القراني:[4]

المرتكز الاخير من مرتكزات الهرمنيوطيقا التأويلية ، هو **(انسنة النص القرآني)** ، ومعناه هنا : هو انتقاله من فضائه الالهي الى الفضاء الانساني ، فتصبح قراءته قراءة بشرية ، فمنذ ان نزل القران الى البشر اصبح نصا تاريخيا ؛ لأنه تحول من كتاب تنزيل الى كتاب تأويل ، فاصبح كتابا بشريا ، تاريخيا واجتماعيا وتراثيا[5]، ف**(النص منذ لحظة نزوله الاولى – اي مع قراءة النبي له لحظة الوحي– تحول من كونه نصا الهيا، وصار فهما "نصا انسانيا" ؛ لأنه تحول من التنزيل**

---

١ ينظر: اشكاليات القراءة واليات التاويل: ص٢٤١

٢ ينظر: الخطيئة والتكفير: ص٧٣

٣ ينظر: النص القراني : ص٢٦١

٤ الانسنة : مصطلح يجعل ((الانسان سيدا للكون بدل من كونه سيدا في الكون ، وهذه النزعة الانسية لا تهتم الا بالإنسان وما يتصل به محسوسات وماديات))، العلمانيون والقران الكريم : ص٣٠٤

٥ ينظر: الاسلام والعصر تحديات وافاق: :ص١٢٠

الى التأويل، ان فهم النبي للنص يمثل اولى مراحل حركة النص في تفاعله في العقل البشري)[1] اي تأنسن النص ، وفلسفة هذا التانسن للنصوص القرآنية كونها، (**نصوص لغوية شأنها شأن أية نصوص اخرى في الثقافة ، وان اصلها الالهي لا يعني انها في درسها وتحليلها تحتاج لمنهجيات ذات طبيعة خاصة تتناسب مع طبيعتها الالهية)**[2]، وعليه فاذا كانت النصوص الالهية (وفق المنظور الهرمنيوطيقي) نصوصا بشرية بحكم انتمائها للثقافة واللغة في فترة تشكلها وانتاجها، فهي بذلك ستكون بالضرورة نصوصا تاريخية، الا انها ليست نصوصا جامدة ، بل نصوصا ،**(محكومة بجدلية الثبات والتغير، فالنصوص ثابتة في المنطوق متحركة متغيرة في المفهوم)**[3] ، وعلى ذلك يكون النص الشرعي منتجا ثقافيا ، افرزته البيئة والثقافة والواقع المعاش، وهذه كلها افرازات ملازمة للبشر، لذا يصح القول ببشرية النصوص او انسنتها، والدليل المهم على القول بهذه الانسنة او بشرية النصوص الالهية (الشرعية)، ان علماء الاصول مثلا يعتمدون في مباحثهم الخاصة بهذه النصوص، كمباحث الالفاظ ، وغيرها ، بضوابط اللغة ، التي هي ظاهرة بشرية ، بمعنى ان من صاغ قواعدها وقننها هم البشر ، وعليه فان فهم النصوص الالهية وفق هذه الضوابط ، انما يكون فهما بشريا ، وبالتالي فهو فهما تاريخيا ، متعددا، وبلغة حداثية فهما هرمنيوطيقيا.

ان القول بـ **(انسنة النص القراني)** فهذا يعني ان خطابا تاريخيا يتغير ويتبدل فهمه ومعناه ، وما جاء به من عقائد وشرائع ، بتغير الزمان والمكان ، وهذا التبدل والتغير لا يقصد منه المرونة في الاجتهاد الفقهي والاصولي المواكب لمتغيرات الواقع ، ولكنه يعني به عدم صلاحية النص الشرعي ، وبالتالي الحكم الشرعي ، لكل زمان ومكان، فهو تاريخي ؛ اي جاء لتاريخ مضى وانقضى.

هذه هي اهم الاسس والمرتكزات التي اعتكزت عليها (الهرمنيوطيقة التاويلية) في قراءتها للنصوص لا سيما النصوص الشرعية ، باعتبارها مدخلا من مداخل (الحداثية) لقراءة هذه النصوص.

المطلب الثالث: نظرية المعنى والمغزى

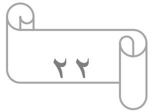
تعد نظرية **(المعنى والمغزى)** من النظريات الغربية المهمة التي يستند عليها الفكر الحداثي ، بل نستطيع القول انها من اهم اسس ومرتكزات القراءة التأويلية (الهرمنيوطيقا) ، التي تؤمن ان القراءة الجديدة للنص تنطلق من مغزاها لا من معناها ؛ باعتبار ان النص له معنى ومغزى.

---

١ نقد الخطاب الديني : ص١٢٦

٢المصدر نفسه: ص٢٠٦

٣المصدر نفسه: ص١١٩



فالمقصود بالمعنى: هو الدلالة اللغوية للنص ، وهو معنى ثابت في كيان النص لا يتغير من عصر الى عصر ولا من قارئ الى اخر.[1]

اما(المغزى): فهو المعنى الكامن في النص الذي يمكن الوصول اليه من خلال فحص الاحتمالات العديدة التي يمكن ان يعنيها النص.[2] ، وهو معنى غير ثابت ، بل متغير من عصر الى اخر.[3]

كما يعبر عن هذه النظرية بـ **((ثبات الصيغة اللغوية – النص– وحركة المحتوى)).**[4]

وبتطبيق هذه النظرية على النص الشرعي (القراني) ، فانه يفهم منها ان المعنى يمثل الدلالة التاريخية للنصوص في سياق تكوينها (عصر النزول)، اما (المغزى) فهو محصلة عصر غير عصر النزول ؛ اي انه يقوم على العلاقة بين النص والواقع ، والواقع متجدد ومتغير.

ولما كان المغزى يؤخذ من المعنى وانه في بطن كل معنى يوجد مغزى ، فعليه ان التأويل ينطلق اساسا من المغزى ، وليس من المعنى،

ويجب على (الهرمنيوطيقا) ان تأخذ على عاتقها هذه المهمة.[5]، كما ان الوقوف على دلالة المعنى وحدها يعني تجميد النص في مرحلة محددة وتحويله الى اثر او شاهد تاريخي فقط .[6]

حيث الملاحظ (بناءا على الرؤية التاريخانية) ان هناك ثلاثة مستويات للدلالة في النصوص الدينية والشرعية وهي:[7]

المستوى الاول: مستوى الدلالات التي ليست الا شواهد تاريخية لا تقبل التأويل المجازي، او غيره.

المستوى الثاني: مستوى الدلالات القابلة للتأويل المجازي.

المستوى الثالث: مستوى الدلالات القابلة للاتساع على اساس (المغزى)، الذي يمكن اكتشافه من السياق الثقافي الاجتماعي الذي تتحرك فيه النصوص ، ومن خلاله تعيد انتاج دلالاتها.

الفرق بين المعنى والمغزى

مما تقدم يتبين لنا ان هناك جملة من الفروقات بين المعنى والمغزى نذكر منها:

---

١ ينظر: العلمانيون والقران الكريم: ص٦٨٣

٢ ينظر: اشكاليات القراءة واليات التاويل: ص٤٨

٣ ينظر: العلمانيون والقران الكريم: ص٦٨٣

٤ الكتاب والقران : محمد شحرور: ص٣٦

٥ ينظر: اشكاليات القراءة واليات التاويل: ص٤٨

٦ ينظر: نقد الخطاب الديني: ص٢٢١

٧ ينظر: المصدرنفسه: ص٢١٠

١. المعنى الثابت هو المعنى الذي يمكن الوصول اليه من خلال تحليل النص، اما المتغير فهو المغزى.[١]

٢. ان المغزى يقوم على انواع من العلاقة بين النص والقارئ ، اما المعنى فهو قائم في العمل نفسه، وحين نزعم ان معنى النص قد تغير بالنسبة لمؤلفه ، فأننا نقصد المغزى على اساس ان المؤلف في هذه الحالة تحول الى قارئ ، ومن ثم تغيرت علاقته بالنص.[٢]

٣. ان المعنى ذو طابع تاريخي ؛ اي انه لا يمكن الوصول اليه الا بالمعرفة الدقيقة لكل من السياق اللغوي الداخلي والسياق الثقافي الاجتماعي الخارجي.

اما المغزى، فأنه وان كان لا ينفك عن المعنى، بل هو ملامس له ، منطلق منه، الا انه ذو طابع معاصر؛ بمعنى انه محصلة لقراءة عصر غير عصر النص.[٣]

٤. المعنى يتمتع بقدر ملحوظ من الثبات النسبي، اما المغزى ، فهو ذو طابع متحرك مع تغير افاق القراءة.[٤]تلك اهم مرتكزات التأويل الحداثي للنص القرآني ، او اهم مرتكزات فهم التأويل وهي كما مر معنا بعيدة كل البعد عن أصول وضوابط وقوانين التأويل الذي وضعه المفسرون انطلاقا من مرادات النص القرآني نفسه ومحافظة على جوهره ودلالته وهذه النظرة الحداثية للتأويل بمختلف مرتكزاتها تنطلق من مبدأ اساسي هي تحرير النص كما تتصور هي من القيود وحالة الجمود التي تعتريه ، حيث يفهم من الامعان في هذه الأسس انها ترى ان الجمود في قراءة النصوص وتأويلها انما سببه في الجملة أمور ثلاثة:

الأمر الأول : الفصل بين النص وبين ظروفه التاريخية ، والموضوعية ، التي يفترض عدم انفكاكه عنها.

الأمر الثاني : الاهتمام بمقصد المؤلف كما تتصور هي دون القارئ.

الأمر الثالث : القول بوجود غيبي (ميتافيزيقي) للنص سابق على وجوده التاريخي[٥].هكذا تصورت المدرسة الحداثية التأويل للنص القرآني وعلى هذه المرتكزات كما بينا بنت تأويلاتها متأثرة بالمدارس الغربية.

---

١ ينظر: الاتجاه العلماني المعاصر: ص٥٢٩

٢ ينظر: اشكاليات القراءة واليات التاويل : ص٤٨

٣ ينظر: نقد الخطاب الديني: ص٢٢١

٤ ينظر: المصدر نفسه: ص٢٢١

٥ ينظر: القراءة الحداثية للنص الشرعي ص١٤٧

الخاتـمة والتوصيات

كانت هذه الدراسة عرضًا مختصرًا لأهم معالم التأويل في المنظور القرآني والحداثي ، وفيما يأتي تلخيص لأهم النتائج التي أسفر عنها هذه البحث :

- امتاز التأويل الحداثي بالغموض والتقليد للغرب ، ففي الوقت الذي نقمَ فيه الحداثيون على أهل الاسلام التقليد وقعوا هم فيما انتقدوه ، وذلك من تقليدهم لأليات الحداثة الغربية في تأويل النص القرآني .

- كان غايةُ التأويل الحداثي للقرآن الكريم تفريغَ القرآن من مضمونه الاعتقادي ، والتشريعي ، والأخلاقي ، وتحويله إلى وعاء فارغ مهيأ لكل ما يمكن أن يلصق به من المعاني ، والأفكار.

- إنّ منطلقات التأويل الحداثي للقرآن الكريم مخالفة للضوابط العلمية ؛ لأن أغلبها يتبنى موقفًا نقديًا ، أو هدْميًّا من التراث التفسيري في مختلف مباحث علوم القرآن ، ومن علوم اللسان العربي ، لكنها في هذا النقد لا تلتزم بضوابط علمية مقررة ، بل تؤسس هذا النقد على افتراضات مخطئة يتم الإلحاح والحرص عليها ، كما أن هناك قُصورًا منهجيًا في تحصيل الأدوات اللازمة للخوض في التفسير، وتلك الرزيةُ العامة للتيار الحداثي في تفسير القرآن الكريم.

- في هذه النظرة التأويلية للقرآن الكريم كثير من التعالي على القراءات المؤمنة كما أن في هذه النظرة قدرًا غير قليل من الاستخفاف بـ (الأفكار المتلقاة).

- لم يسلم التأويل الحداثي للنص القرآني من الوقوع في أخطاءٍ علميةٍ نابعةٍ من المنهاج العام لكل تأويل ، فقد اشتملت بعض التأويلات على كثير من الخطَل الواضح ، والتمحُّل المخزي، والغلط البيّن الذي نبه عليه بعضُ الباحثين .

- أرادت هذه التأويلات للقرآن الكريم أن تركب أخطاء قديمة وقعت عن حسن نية من الباحثين القدامى- إثناء تناول الحديث في علوم القرآن، وتحوّلها مع شذوذها إلى ثوابت تاريخية ، وحقائق قطعية ، لتوظيفها لخدمة أهداف إيديولوجية معروفة .

- يمكن لنا أن نؤسس لتأويل حداثي منطلق من الثقافة الاسلامية ، والنظر إلى الحداثة بمنظر الرؤية الاسلامية ، وهذا ما قام به الدكتور طه عبد الرحمن في مشروعه الحداثي ، فقد زاوج بين الموروث التراثي ومتطلبات العصر عبر آليات نابعة من ذات الحداثة ، فعليه ليس كل قراءة حداثية مرفوضة .

-ان الضوابط التأويلية التي وضعها علماؤنا قديما هي العاصمة من الشطط في فهم النص ودلالته ، وهذه الضوابط ليست طوقا يحد من انفتاح افاق دلالة النص كما اراد الحداثيون تصوير ذلك كما انها ليست ضوابط تحكم بها العلماء من غير دليل او مستند نقلي او عقلي كما هو الحال في مرتكزات التأويل الحداثي.

ومن التوصيات التي يراها الباحث أنّه :

-لابد من تكوين فرق بحث من أهل العلم بالتفسير وغيرهم لمراجعة كل عمل يصدر عن هذه المشاريع القارئة لكتاب الله قراءة حداثية ، ورصد كل ما تقذفه المطابع من بنات أفكار مَنْ يتبنى النظرية الجديدة في القراءة.

- لابد من المراوحة في الانتقادات الموجَّهة من أهل العلم إلى هذه المشاريع ، بين النقد المنهجي القائم على كشف الأسس المرجعية والمنطلقات ، وبين النقد التجزيئي القائم على ذكر الجزئيات والتفاصيل، إذ ليس يغني أحدهما عن الآخر.

-ضرورة إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لدراسة هذه القراءات الحداثية والوقوف عند الياتها بالنقد والتقويم .

فهرست المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

- الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن دراسة ونقد : د. أحمد محمد فاضل : دار الكتاب العربي –بيروت .
- **الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)المحقق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م**
- **الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن مُحَمَّد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.**
- **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا،قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي،الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.**
- أساس التقديس في علم الكلام ، للامام أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ت٦٠٦هـ ،مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ط١٤١٥،١هـ.
- الاسلام والعصر تحديات وافاق- محمد رمضان البوطي – طيب تيزيني – دار الفكر – دمشق – ط٢- ١٩٩٩.
- اشكاليات القراءة واليات التأويل- نصر حامد ابو زيد – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ط٧ ٢٠٠٥م.
- الانتصار للقرآن ، تأليف الامام الجليل القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني ت٤٠٣هـ ،دار الفتح ودار ابن حزم عمان بيروت ،ط١ ، ٢٠٠١م

- **البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) دار الكتبي،الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.**
- **البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)المحقق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه**
- تاريخية الفكر العربي الإسلامي : محمد اركون - ترجمة هاشم صالح - المركز الثقافي بيروت ط٢-١٩٩٦
- التأويل وتفسير النص مقاربة في الاشكالية - د عبد الأمير كاظم زاهد - المصباح مجلة فكرية فصلية متخصصة - العدد الثالث خريف - ٢٠١٠
- التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد -د- عبد الغفور محمود مصطفى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م
- التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل - تأليف الشيخ حامد بن علي العمادي الدمشقي المتوفى سنة ١١٧١هـ مطبوع ضمن مجلة الأحمدية العدد الخامس عشر ، رمضان سنة ١٤٢٤هـ ص٣٧
- التفكيكية دراسة نقدية - بيير زيما- تعريب اسامة الحاج - المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ط١ ١٩٩٦.
- الجام العوام عن علم الكلام ، تأليف الامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، المكتبة الازهرية للتراث ، القاهرة ١٤١٨هـ.
- **جامع البيان في تأويل القرآن: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ،المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م**
- الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج معاصر : د- عبد الله محمد الغذامى- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط٤ -١٩٩٨ .

- دراسات في النص والتناصية– محمد خير البقاعي – مركز الانماء الحضاري – سورية – ط١ ١٩٩٨م.
- دراسات قرآنية مناهج التفسير – اشكالية تحريف القرآن ،القسم الاول مجموعة من الباحثين ، مركز الغدير ، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م
- دروس في علم الاصول/ الحلقة الأولى – محمد باقر الصدر – منشورات محبين مطبعة قلم ط١– ٢٠٠٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للامام أبي الفضل محمود الآلوسي ،ت ١٢٧٠هـ،دار احياء التراث العربي ، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير،للامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ،ت٥٩٧هـ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت،ط١٤٠٧،١هـ
- سلطة النص – عبد الهادي عبد الرحمن – سينا للنشر القاهرة ط٢– ١٩٩٦م.
- **شرح مختصر الروضة : سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى : ٧١٦هـ) المحقق : عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.**
- **العلمانيون والقرآن الكريم –تاريخية النص– احمد ادريس الطعان –دار ابن حزم للنشر والتوزيع الرياض –ط١– ٢٠٠٧م.**
- فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الاكوان ، للشيخ العلامة سلامة القضاعي العزامي الشافعي ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ،١٤١٩هـ.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، تأليف أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي ت٥٩٥هـ،ط٣ دار المعارف القاهرة.
- الفكر الإسلامي قراءة علمية : محمد أركون– دار الطليعة– بيروت ، لبنان.
- قانون التأويل ، تأليف الامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ت٥٠٥هـ ضمن مجموعة رسائل الامام الغزالي ،المكتبة التوفيقية القاهرة.

- القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني- محمد أركون – ترجمة ، هاشم صالح، دار الطليعة- بيروت ،لبنان، ط ١: ٢٠٠١ .
- **كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)،المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.**
- الكتاب والقرآن- محمد شحرور- الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ط١ .
- الكتابة والاختلاف- جاك دريدا – ترجمة كاظم جهاد –دار توبقال للنشر – الدار البيضاء- ط٢-٢٠٠٠م
- لسان العرب – ابن منظور- المحقق : عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي- دار المعارف القاهرة .
- المرايا المحدبة – من البنيوية الى التفكيك – عبد العزيز حمودة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت –١٩٩٨.
- **المستصفى: أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.**
- المصطلحات الادبية الحديثة- محمد عناني – دار نوبار للطباعة القاهرة – ط٣- ٢٠٠٣م.
- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني –د عبد القادر محمد الحسين، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ،دمشق ط١ ،٢٠٠٨م
- المعجم الفلسفي- جميل صليبا- دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢- ج ٢ أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر مقاربات نقدية وسجالية – علي حرب – دار الطليعة بيروت – ط١ -١٩٩٤.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب –مجدي وهبة- كامل المهندس –مكتبة لبنان –بيروت – ط٢ ١٩٨٤م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي،دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

- **معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.**
- **المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)المحقق: صفوان عدنان الداودي،دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.**
- **مفهوم النص- نصر حامد ابو زيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب -مصر-ط١-١٩٩٠م**
- من افاق الفكر البلاغي عند العرب - عبد الحكيم راضي - مكتبة الآداب القاهرة -ط١-٢٠٠٦م.
- من النص إلى الفعل - بول ريكور - ترجمة محمد برادة - حسان بورقية- عين للدراسات والنشر والتوزيع مصر ط١ ٢٠٠١
- من فيصل التفرقة الى فصل المقال .....أين هو الفكر الاسلامي المعاصر- محمد اركون - ترجمة هاشم صالح - الساقي بيروت ط٢ ١٩٩٥.
- **المناهج الاصولية فتحي الدريني - مؤسسة الرسالة ناشرون دمشق ط٣- ٢٠١٣م**
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، تأليف الشيخ محمد عبد العظيم ،الزرقاني دار الفكر ،بيروت ط١ ١٩٩٦
- النص القرآني أمام اشكالية البنية والقراءة - طيب تيزيني- دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - ط١- ١٩٩٧.
- نقد الخطاب الديني- نصر حامد ابو زيد - سينا للنشر القاهرة - ط٢ ١٩٩٤م.
- نقد النص - علي حرب -المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء -ط١-٢٠٠٥م.
- **الهرمنيوطيقا في الواقع الاسلامي- احمد معتصم السيد - دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت- ط١ ٢٠٠٩م**
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن محمد - تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ،دائرة الآثار والتراث، العراق، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م

